

لمح وميزة عن

## كتاب الديارات

لأبي الحسين علي بن محمد الشاذلي

للأستاذ صلاح الدين المنجد

... وبعد فهذا كتاب جليل ، حوى ما طرأ من أخبار الأدياء وما لطفت من سير الشعراء وما تقدم من أحداث النداء وأفاكيه الأسماء في العصر العباسي الأول ، سماه صاحبه « كتاب الديارات »<sup>(١)</sup> ، وجعلها سبيلاً إلى سرد ما حفظه من أخبار أهل الأدب وطرانيمهم ؛ فجمع فيه ما لا يجد في غيره من الكتب . فهو مؤلف عظيم جدير بأن ينوء به ويكتب عنه

كيف عثرنا عليه

عنت منذ زمن طويل بدراسة أثر الأديار في الأدب العربي ، فقد كان أهل بغداد يمشون في عالم مائة الهدوء والسلام ، ساجدين في النعم ، غارقين في الذائذ والذو والمجون . وكانت الديارات من المواطن التي يحلو فيها اللناء والشراب ، وتصفو بها القلوب والنفوس . وكان يرادها خلماً للشباب ومترقو الناس ، ووجان الأمراء والشعراء ؛ يجدون فيها ما تشتهي الأنفس من خمرة ولذة وجمال . وكان أهل هذه الديارات يرحبون بالطرائق : يمشون لهم ويأمنون بهم ، ويمطونهم من أنفسهم وأموالهم ما يشتهون ، ليفتنوا المسلمين عن دينهم ويوجهوم وجهة كلما فنون ومجون وإغراء ، فكان الشعراء ومن اتبعهم يهتزون لرأى الراح والريحان واللبيض الحسان ، فيجيش في صدورهم الشعر ، ولكنه شعر رقيق فيه صفاء وملؤه أنغام ، وصفوا فيه الدبر والديار ، والقمعان والفلان ، والمناري والتبتلات ، والصليب والتاقوس ، والخمر والنديم ، والمسوح والصلاة . فقد وجدوا في هذه الأديار عالماً جديداً فيه بشر وانطلاق وسرور وحبور وسع الأخيلة وأبهج النفوس

(١) الديارات والأديار والهدية ج دير ؛ قال السان : والدير خان النصارى . وقال ياقوت ج ٢ ص ٦٣١ : والدير بيت يصعد فيه الرهبان

وقد أورد ياقوت في معجمه طرفاً من الأسماء التي قالها رواد تلك المواطن . وقد نقل عن « للشاذلي » مؤلف هذا للكتاب كثيراً . ثم جمعت ما ذكره صاحب مسالك الأبصار في الديارات وأهلها ، ووددت لو أقع على نسخة من كتاب الشاذلي ، حتى زرت مكتبة المجمع العلمي العربي بدمشق ، وعثرت فيها على نسخة فوتوغرافية له ، أخذت عن نسخة مصورة أخرى في الخزانة للتييمورية . وكان أحمد تيمور باشا قد أرسل فصورها عن نسخة خطية فريدة موجودة في خزانة برلين تحت رقم (١١٠٠)

قرأت الكتاب فأغرقتني طريقتة ونوادره وأخباره ، وما ضم من أحداث مفقودة وأسماء رقيقة تجهولة ، وتراجم شعراء جموا بين الرقة والمذوبة فأنوا بشمر منه المطرب ومنه الراقص ، فنسخت الكتاب ، وعزمت على تحقيقه وفهرسته وشرحه وجمع ما ضاع منه وحفظته للكتب الأخرى ، وبدأت العمل منذ شهر وشهور ، ووضعت الأديار مخططاً يبين مكان كل منها . على أن لاقيت في تحقيقه اللغناء واللبلاء ، ولا يعرف الجهد إلا من يمانية ، ولن يرضى إلا القليل — إن شاء الله — حتى يكون للكتاب جاهزاً

أول من نوه بالكتاب

وأول من نقل عن هذا الكتاب ونوه به هو العميد حبيب الزيات ، فقد أخرج للناس في تموز من عام ١٩٣٥ عدداً خاصاً من مجلة « الشرق » للكائوليكية في بيروت عن « الديارات النصرانية في الإسلام » ، فنقل عنه نقولاً كثيرة وبحث في الديارات ونشأتها وأهلها . ولكنه لم يتجرد في بحثه عن تمصّب واقتراء ، شأنه في مباحثه التي يديرها حول النصرانية وأهلها وأمورهم في الإسلام . على أنه نوه بالكتاب وقال عنه : إنه جدير بالخدمة وجدير بالتحقيق

وصف الكتاب

والكتاب يقع في (١٣٥) صفحة فوتوغرافية ، كل صفحة ضمت سفتين من صفحات الكتاب الأصلية ، فيكون عددها إذن (٢٧٠) صفحة ، في كل صفحة — على القالب — خمسة عشر سطراً ، وقد كتبت بخط شديد الشبه بالنسخي ، مضبوط قليل

الأخطاء ، أسقطت منه الهمزات ، كما أسقطت منه « التعمية » (١) في كثير من الصفحات ، وما وضع منها فهو بخط يختلف عن خط الناسخ . وقد سقطت من أوله أوراق كثيرة فيها ذكر ديارات الشام . على أن في ياقوت ومسالك الأبصار نقولاً عن الشاشتي تعلق بها

أما الصفحة الأولى منه فلم يظهر فيها إلا :

بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على سيدنا محمد

ثم يلي ذلك جمل مضطربة سقطت بعض كلماتها ، وحروف وأرقام ، ثم يبدأ الكتاب بما يلي :

« الدار التي بناها الديلمي أحمد بن بويه بباب التماسية . وموقعه أحسن موقع . . . وهو تره كثير البساتين والأشجار . . . الخ »

وفي آخر صفحة منه :

« تم كتاب الديارات بحمد الله وعونه وقوته وحسن توفيقه . ووافق للفراغ منه في ليلة صباحها يوم الخميس السادس عشر من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة . »

« كتبه السيد الفقير إلى رحمة الله عبد الحلیم بن محمد ابن عبد الوهاب بن أحمد بن عربي الدمشقي ، المعروف جده بالتحوي . وهو يسأل الله أن يغفر ذنوبه ويستر عيوبه . والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين . »

### نسخ الكتاب

وفي دار الكتب المصرية نسخة مخطوطة من هذا الكتاب . وقد أخبرني صديق الأستاذ شكري فيصل بأنها رديئة قليلة الضبط لا يستطيع المحقق أن يعتمد عليها . وكنت أخبرتك بذلك صديق الجليل سيد النثر الأستاذ أحمد حسن الزيات بنية أن يلمني شيئاً عن الكتاب ، ولكنه تكرم فطلب أن « أشر فصلاً منه وأن أكتب كلمة عنه » فخصمت هذه الكلمة بالرسالة ، ومن أحق من الرسالة بهذه للبشرى وهذه الباحث !

وقد ذكر الأستاذ حبيب الزيات في رسالته « الديارات النصرانية في الإسلام » :

(١) التعمية في اصطلاح الناسخين القدماء : هي الكلمة التي تكتب في أسفل كل صفحة لتدل على أول كلمة تأتي في رأس الصفحة التالية

« إنه كان من هذا الكتاب نسخة ثمينة مزوقة Illustrée وقف عليها شمس الدين محمد بن طولون الدمشقي في القرن للماشر للهجرة ( عن ذخائر القصر في تراجم نبلاء مصر لابن طولون الحنفي ، رقم ١٤٢٢ من الخزانة التيمورية ) ولا يخفى ما فاتنا بفقدائها من لفائدة الجليلي ، لإمكان دلالة ما فيها من الصور والأشكال على رسوم الديارات وضروب أبنيتها » (الديارات النصرانية : مقدمة) قال الكتاب إذن قيم ذو شأن لما جمع وحوى . ترى من هو مؤلفه الشاشتي ... ؟

والشاشتي هذا نديم بارع وأديب فاضل ، ولأه العزيز صاحب مصر خزانة كتبه . وامله ألف هذا الكتاب وهو قائم عليها ، وله تأليف كثيرة ضاع أكثرها ، منها « اليسر بعد العسر » نهج فيه نهج القاضي التنوخي في كتابه « للفرج بعد الشدة » وما تدرى أيهما أخذ عن صاحبه نهجه فقد كانا معاصرين ولكن توفي القاضي التنوخي قبل الشاشتي بأربع سنوات (توفي للشاشتي سنة ٣٨٨ هجرية ، وتوفي للقاضي سنة ٣٨٤) والمرجح أن الشاشتي أخذ عن التنوخي

### طريقة الكتاب

قلنا إن المؤلف قد جعل الديارات سبيلاً إلى ذكر أخبار الشعراء والأسماء ، فهو يذكر الدير وموقعه وما يحده وما يتصف به ، ثم يذكر من زاره من الشعراء ، ثم يمطرده إلى للشاعر فيورد ما قاله في الدير من الشعر ، ثم ينتقل إلى سرد أخباره ، فإن كان الزائر من النداءى ذكر الخلفاء الذين نادهم واستطرد إلى ذكر بعض نوادرهم ، وإن كان من الأسماء ذكر بذخه وترفه ومجونه ولموه وكل ما يتصل بحياته الخاصة بسبب ، وهو بطريقة هذه قد ترجم لكثير من الشعراء والندباء والمفنين والولاة والخلفاء والأسماء والخلفاء وما بنوه من قصور وما أقاموه من حفلات وما أنفقوه من أموال . وفي الكتاب فصل فريد لم أعتز عليه في كتب الأدب وهو وصف حفلة أقامها التوكل لإعذار (١) المنز وهو في منتهى الطرافة ، وسنشره إن شاء الله في الممدد القادم :

صنوع الدير المنبر

(دمشق)

(١) جاء في الأساس : هنر الصي : طهر ، وكنا في إمنار فلان وفي عنبرته وهو طعام الختان .